موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة

الدكتور عبد القادر خليفي

جامعة وهران

نسب الشيخ

ينتمي الشيخ بوعمامة إلى قبائل أولاد سيد الشيخ التي قسمتها الاتفاقية المنعقدة بين السلطات الفرنسية في الجزائر والسلطات المغربية سنة 1845 إلى قسمين: قبائل أولاد سيد الشيخ الغرابة وجنسيتهم مغربية، وقبائل أولاد سيد الشيخ الشراقة وجنسيتهم جزائرية.

والمعروف أن هذه القبائل ورغم انتمائها إلى بلدة الأبيض سيد الشيخ، لتواجد ضريح جدها عبد القادر بن محمد – سيد الشيخ – فيها، فإن أفرادها منتشرون في مختلف البلاد المغاربية وبخاصة في الجزائر والمغرب الأقصى.

أما عشيرة أولاد سيد التاج[1] فقد استقر فرع منها بمنطقة عين الصفراء, بينما استقر الآخر في منطقة فكيك المغربية، وهؤلاء هم أولاد بلحُرمة، ومنهم خرج الشيخ بوعمامة زعيم المقاومة الجزائرية لسنة 1881.

ومنطقة عين الصفراء الجزائرية، وفكيك المغربية، منطقتان متجاورتان لا تفصلهما سوى الحدود الوهمية التي لا توجد سوى في الكتب والخرائط، وخاصة بالنسبة للبدو الرحل

1- التاج: هو الابن الثالث عشر لسيد الشيخ.

الذين لا يجد من تحركاتهم شيء، أي أن أراضي تجوال أولاد سيد التاج متصلـــة ببعضـها البعض جغرافيا.

وإذا كانت بعض المصادر الفرنسية تذكر أن ولادة الشيخ كانت ببلدة فكيك، فـإن أحد الضباط الفرنسيين ينكر ذلك، ويذكر أنه ولد في فرعة مستورة قرب نخلة بن إبراهيـم بوادي زوزفانة[2]، وذلك اعتماداً على تصريح أحمد بلمنور ابن عم الشيخ بوعمامة وصـهره، والذي كان وسيطا بينه وبين السلطات الفرنسية.

لم يكن أحد من أولاد سيد الشيخ يجد حرجا في الانتقال شرقا أو غربا، فهو حيثمـا حل وجد نفسه بين أهله وذويه، ووجد الترحاب والفرح.

وعموما فإن القبائل الحدودية بين الجزائر والمغرب كانت تعيش مع بعضها البعض حياة ود وجوار، قد جمعت بينها صلة القربى نتيجة المصاهرة والتجارة، وكانت تعيش حياة أخوة وسلم أحيانا وحياة عداوة وحرب أحيانا أخرى، مثلها في ذلك مثل أية قبـائل متجـاورة تصطدم بينها المصالح حينا أو تلتقي وتتقاطع حينا آخر.

لقد كان حلول الاستعمار الفرنسي بالجزائر سنة 1830 وعقد اتفاقية لالّة مغنية سـنة 1845 قد أنتج ظروفا جديدة جيو- سياسية لم يعهدها سكان المنطقة من قبل، فكان لزامـا، من الوجهة الرسمية، أن ينتمي الفرد داخل قبيلته إلى وحدة سياسية معينة طبقـا للأعـراف السياسية الحديثة والمعاصرة.

لكن الشيخ بوعمامة ترك عائلته في نواحي فكيك واستقر في بلدة مغـرار التحتـاني جنوبي عين الصفراء (70 كلم) حيث أنشأ زاوية شيخية حوالي سنة 1875، واجتمع حولـه الأتباع من كل القبائل، وأصبحت زاويته مقصدا للزوار، الذين كانوا على أهبة الاسـتعداد لتنفيذ أي شيء يأمرهم به شيخهم.

2- أنظر:

- Palaska (Lieutenant) : Les ouled Belhorma. in Bulletin de Soc, geo. Arch. D'Alger 1906, P : 08.

موقف سكان بلدة فكيك من الحركة:

عندما أعلن الشيخ الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1881م انضمت إلى الحركـــة قبائل المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر، كما ناصرت حركته قبائل أخرى مغربية.

وبعد سنتين من الكفاح المسلح انسحب الشيخ بوعمامة، بعد تعاظم القوات الفرنسية، نحو الجنوب بعيدا عن المناطق التي يسيطر عليها الفرنسيون.

واتجه أولا إلى بلدة فكيك المغربية، ولكن سكانها رفضوا إقامته بينهم، وقالوا له قولـــة مشهورة : "الخَيْط خَيْط والحَيْط حيط"[3]، وذلك خوفا من تعقب الفرنسيين له واســـتغلال ذلك لاحتلال بلدتهم.

وقد طالب عسكريو الجيش الفرنسي، فعلا، باحتلال بلدة فكيك، ولكن الســـلطات الفرنسية اكتفت بمراسلة السلطان المغربي للتدخل في الأمر، لخلق جو من حسن الجوار[4].

وقد استمرت التحرشات الفرنسية على المنطقة التي أصبحت تشكل تهديدا لمصالحـهم، ولهذا كاتب أهل فكيك السلطات المخزنية (المغربية) طالبين العون المادي لمواجهة الفرنسـيين دون نتيجة.

وقد جرت محاولة لاعتقال الشيخ بوعمامة من قبل المخزن المغربي، وتعـــرض مجلـس جماعة فكيك إلى ضغط من السلطان المغربي بعدم السماح لبوعمامة بالاستقرار في المدينـــة[5]. وهذا نتيجة الضغوط الفرنسية على البلاط الملكي، أي أن السلطات الفرنسية كـــانت وراء هذه المحاولة على اثر الاتصال الذي قام به الحاكم العام في الجزائر تيرمان بالمفوض الفرنســي في طنجة الذي اتصل بالقصر العلوي[6].

3- أي أنهم (الفيكيكيون) حضر لا يمكنهم الفرار إذا داهمهم العدو، أما هو فبدوي يسكن الخيام (خيط) التي يمكن طيها والانسحاب في أي وقت.

4- العربي هلالي: فجيج ووثائق ومعالم، طبع على نفقة المؤلف بالمطابع المغربية والدولية، طنجة، 1981، ص: 60.

5 -رسالة السلطان المؤرخة في 15 شوال سنة 1300 هــ / 1883م.

6- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ج: 02، ش و ن ت، الجزائر 1981، ص: 31.

وهكذا غادر الشيخ بلدة فكيك واتجه نحو الصحراء جنوبا، حيث وجــد الاســتقبال والترحاب من قبل سكان بلدة أولاد عبو بدلدول، وما أن استقر في هذه المنطقة "حتى عمل على ضمان الاتصال المستمر بمنطقة فجيج ومنطقة وجدة في الشمال إبقاء للروابط الروحيــة والتجارة بين الشمال والجنوب"[7]. وبخاصة بهدف التموّن بالسلاح القادم من مدينة مليليـــة التي كانت تحت سيطرة الإسبان.

الموقف الشعبي المغربي من حركة الشيخ بوعمامة:

كان أولاد سيد الشيخ – قبل 1830 م – هم الأسياد في المنطقة الممتدة من بلدة ورقلــة شرقا حتى بلدة فكيك غربا، وكان للطريقة الشيخية التأثير الأكبر على العديد من القبـــائل المتواجدة على امتداد هذه الرقعة الجغرافية. وكان لتنقل أولاد ســيد الشــيخ هنــا هنــاك واستقرارهم في مختلف البلاد المغاربية، أثر سهل على المقاتلين إيجاد الدعم والاستقبال حيثما حلوا وارتحلوا.

وهكذا فقد انضمت قبائل مغربية إلى حركة الشيخ في أول مراحلها مثل قبائل بني قيل والبْرابَر، وخاض الأوائل معركة شط تيقري في 26 أفريل 1882 مساندة للشيخ، وكان النصر حليفهم رفقة رجاله، حيث أبيد نصف عدد القوة الفرنسية، وقتل ضابطان وجرح ثـــالث، واستعاد المقاتلون ما كانت القوة العسكرية الفرنسية قد استولت عليه من مواش قبل ذلك[8].

كما خاضت القبائل نفسها معركة واد الشارف في موقف دفاعي في شهر ماي مـــن السنة نفسها ضد قوات فرنسية جاءت للانتقام للهزيمة السابقة، وقد تكبدت هذه القبـــائل خسائر هامة لمفاجأة الفرنسيين لها.

أما قبائل البْرابَر فقد وقفت إلى جانب الشيخ وترجته أن يستقر بينهم، وخاضت عــدة معارك مساندة له في المنقار وتاغيت وغيرها.

7- ع. زوزو، المرجع السابق ص: 16.
8- عبد القادر خليفي، المأثور الشعبي لحركة الشيخ بوعمامة، رسالة دكتوراه دولة، نوقشت بجامعة وهران في 21 مارس 2001 ص: 152.

وقد راسل الشيخ بوعمامة رجلا صوفيا ظهر بمنطقة تافيلالت هو محمد العربي صاحب الطريقة الدرقاوية فكسب عطفه ومساندته، ويذكر المؤرخ المغربي بن منصور ذلك، في قوله عن الشيخ أنه: "كان يتعاون في أعماله هذه مع صوفي آخر في منطقة تافيلالت اسمه محمد العربي العلوي المدغري"[9].

وبلدة تافيلالت هذه، هي التي ستحمل لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، والتي انتقلت إليها عدة قبائل جزائرية رفضت الخضوع للاستعمار الفرنسي كالعمور وأولاد جرير ودوي منيع والشعامية، ومن هناك، من تافيلالت، كان هؤلاء يغيرون على القوات الفرنسية بمساعدة إخوانهم المغاربة.

يقول أحد الكتاب الفرنسيين عن تافيلالت ما يلي: "تافيلالت شديدة العداء لنا، هنالك يعيش أولاد جرير ودوى منيع المتمردون ،ومن تافيلالت تخرج "الحَرْكات" الكبيرة الموجهة ضد مراكزنا و ضد الخاضعين لسلطتنا"[10].

لم يطل بالشيخ المقام في دلدول بالجنوب الجزائري، نتيجة للضغوط الفرنسية، فغادر المنطقة سنة 1894 في اتجاه المغرب مرورا ببلدة بني ونيف الجزائرية وفكيك المغربية. ولكنه وقبل الولوج إلى الأراضي المغربية راسل العديد من القبائل المغربية المتواجدة في الجنوب الشرقي المغربي، في كل من منطقة آرفود و الريصاني وبوعنان ومنطقة الراشدية وزاكورة وقوليمين وبودنيب وتانسينت، يطلب منها التحالف معه ودعم حركته، وقد جاءته الردود إيجابية من قبل قبائل هذه المناطق تقبل كلها التحالف معه والوقوف إلى جانبه[11].

وهكذا أمّن الشيخ طريقه في الأراضي المغربية. وعندما انتقل إلى المنطقة الشمالية الشرقية،بعد موافقته على الوقوف إلى جانب الثائر الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة،

9- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج: 02، المطبعة الملكية الرباط، 1979. ص : 78.

10- انظرRENE PINON: l'empire de la Méditerranée. librairie académique. paris 1912 .P:164.

11- أورد بوعمامة بلحرمة نسخا من ردود هذه القبائل في ملحق مذكرته للسانس : "ملامح التصوف في فكر الشيخ أبي عمامة"،كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة محمد الأول وجدة 9-1990 (مخطوط) .

وقفت معه عدة قبائل مغربية أخرى، كبني مطهر والمهاية وسجعة وأولاد سيدي علي بوشنافة وبني يعلى وزكراة ...

وقد دعا الفقهاء المغاربة الناس إلى الوقوف في وجه عدو قارب البلاد المغربية، واستجاب لذلك العديد من القبائل المغربية، التي لعبت دورا حاسما في تأجيل الاحتلال الكلي للبلدين واستغلال خيراتهما[12].

وهكذا كان الموقف الشعبي المغربي مساندا لحركة الشيخ لمواجهة الاستعمار الفرنسي تحت لواء مجاهد صوفي و"مرابط".

الموقف الرسمي المغربي:

أ-الوضع في المغرب في مطلع القرن العشرين:

قبل التعرض للموقف الرسمي المغربي من حركة الشيخ بوعمامة لابد من التعرف على الأوضاع العامة في المغرب الأقصى حتى نفهم سر ذلك التعامل مع الحركة.

لقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين موجة عارمة من الصراع الأوربي حول المغرب الأقصى لموقعه الإستراتيجي في الركن الشمالي الغربي من إفريقيا وتحكّمه في الجزء الجنوبي من مضيق جبل طارق.

في هذه المرحلة كانت الحكومة المغربية تجتاز مرحلة من الفوضى والفتن وسوء التسيير.

وهكذا بدأت الدول الكبرى تراقب الأوضاع عن كثب وتنتظر الوقت المناسب للانقضاض النهائي على الغنيمة. ولكي تخفف هذه الدول من حدة التنافس بينها التقت في برلين سنة 1880م، واتفقت على أن لا تسمح بأي حق تفضيلي لأية دولة أجنبية، وأن تتعامل على قدم المساواة في كل ما يخص المملكة المغربية.

12- زكي مبارك: "المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المعاصرة"، مجلة الثقافة، العدد 83 ،سبتمبر اكتوبر 1984.

في هذه المرحلة كان السلطان مولاي الحسن يحكم البلاد (1875-1894)، وكان ملكـا نشيطا، تمكن من الإبقاء على التوازن بين القوى المتنافسة على بلده. وبعد وفاته خلفه ابنـه عبد العزيز (1894-1908)، وهو ما يزال في سن الرابع عشرة من عمره، أي أنه كـان في سن المراهقة، ولا يملك أية صفة للقيام بأمور المملكة.

في هذا الوقت كان الوزير الأول ابّ احمد (احمد بن موسى) ولالّة رقية أرملة مـولاي الحسن يمسكان بالسلطة الفعلية "لقد جعل ابّ أحمد من سيده ستارا يتخفى وراءه في حكـم البلاد "[13].

وفي سنة 1900 توفي الوزير الأول ابّ احمد فوجد مولاي الحسن نفسه أمام سـلطة لم يتعلم كيف يديرها، لأن وزيره الأول لم يكن يطلعه على شيء، في الوقت الـذي كـانت القوى الكبرى تتصارع على بلده.

فكان عليه أن يبدأ من البداية، ولكن الأوضاع الداخلية والخارجية كانت قد بلغـت حدا خطيرا من الفوضى، واضطر السلطان إلى الاستدانة من الدول الأوربية، فكان شـعبه يقول إطلاقا :"إن السلطان يبيع بلاده إلى الكَفرة"[14]. لهذا وجدت الانتفاضات والثـورات الكثيرة من يناصرها من القبائل الرافضة للوضع المخزي الذي كانت تعيشه بلادهم

وهكذا ثار الجيلالي الزرهوني المعروف بـ"بوحمارة " أو "الروقي" في شرقي المغـرب (1902-1909)، والذي أعلن نفسه سلطانا، مدّعيا أنه مولاي امحمد أخو السلطان عبد العزيز الذي سجنه وسلب حقه في الملك، وناصرته قبائل عديدة في منطقتي وجدة وتـازة،كمـا انضمت إليه فكيك في الجنوب الشرقي سنة 1903 بعد أن يئس سكانها من مساعدة السلطان

13- روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة ، دار الثقافة ، بيروت 1980، ص: 62.
14- المرجع نفسه، ص: 63.

عبد العزيز لهم ،ظنا منهم أنه مولاي امحمد السلطان الحقيقي، وقد عين عليهم الحاج محمـد بن مرزوق عاملا[15].

كما انضم الشيخ بوعمامة إلى هذه الثورة بعد تلقيه لرسالة من "الروقي" يعرض عليـه "الانضمام إلى حركته وتأييده لإنقاذ المغرب من أيدي الخونة والمفسدين"[16]. وكان الأمـير عبد الملك بن الأمير عبد القادر الجزائري، الذي كان متواجدا معه، قد أشار عليه بهذا الرأي.

وقد انضم الشيخ إلى هذا الثائر، وهو يظنه الملك مولاي امحمد الحقيقي، مثله في ذلـك مثل القبائل المغربية التي ناصرته على هذا الاعتقاد.

فانضمام الشيخ بوعمامة هذا، هو تأييد للسلطان الحقيقي من جهة، ومحاربة كل مـن يتعاون مع الدولة الاستعمارية المعتدية من جهة أخرى، أي أنه سيحارب أعوان الأجـانب مثلما حاربهم في الجزائر.

وهكذا انتقل الشيخ حوالي سنة 1904م /1322هـ إلى الشمال المغربي ليقترب من مقـر الثائر "بوحمارة/الروقي"، ومعه زاويته وزمالته التي تتكون من قبائل مختلفة تضم حوالي ألـف خيمة[17]. ودخل الحرب ضد السلطات المغربية بقوة وبخاصة خلال سنتي 1904 و1905، وهي الفترة التي قويت فيها ثورة الروقي بمنطقة وجدة.

ب- الموقف الرسمي:

بعد أن استعرضنا الوضع العام في المملكة المغربية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلـع القرن العشرين، نعود الآن للحديث عن علاقة الشيخ بوعمامة بالسلطات الرسمية في المغـرب وموقفها من حركته.

15- أحمد مزيان: فكيك ,مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر، مطبعة السعادة المغرب 1988,ص518.

16- محمد بن الحسن الحجوي ..، "انتحار المغرب بيد ثواره"، مذكرات مخطوطة بالخزانة الوطنية للوثائق بالرباط،111 صفحة، تحت رقم :ح 123.

17 عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق :85.

حاول الشيخ بوعمامة تحسين علاقته بالسلطات المغربية التي كان يراها سلطة إسـلامية يمكنها مساعدته في مقاومة الاستعمار الفرنسي، ولكن تلك السلطة كانت ضعيفة مستسلمة للتأثير الأجنبي، مقيدة باتفاقيات مع السلطة الفرنسية منذ اتفاقية لالّة مغنية سنة 1845، ولهذا فإنها كانت ترغب في استتباب الأمور على حدودها الشرقية حتى لا تفتح بابا للفرنسـيين يتحججون به للتوغل داخل المملكة المغربية. فهل وفقت هذه السلطة في ذلك؟

لقد كان للسلطات المغربية موقفان من حركة الشيخ بوعمامة:

الموقف الأول ويتمثل في محاولة جلبه للخضوع لها وخدمة أهدافها، وموقـف معـاد ويتمثل في مطاردته وحربه ودعوة المغاربة إلى عدم مساعدته.

أما الموقف الأول: فيظهر سنة 1892 عندما كان الشيخ متواجدا بمنطقـة دلـدول بالجنوب الجزائري، وحيث كان يتمتع بنفوذ قوي روحي وحربي، بعد انضمام قبائل عديـدة إلى حركته (الصوفية والجهادية)، وهذا في الوقت الذي انتهى فيه أمر بقية زعماء أولاد سيد الشيخ، فقدور بن حمزة عقد الهدنة مع الفرنسيين سنة 1883، وسليمان بن قدور تم اغتيالـه من قبل البْرابَر المغاربة في السنة نفسها، أما سي علال فهو معزول وقد تخلى عن المقاومة.

ولهذا سعى السلطان مولاي الحسن سنة 1892م إلى كسب ود الشيخ ليجعل منه مدافعا عن هذه المنطقة الصحراوية لصالح المغرب ضد التوسع الفرنسي، وطلب منـه الاسـتقرار بناحية فكيك و الرجوع إلى زاويته بمغرار[18]. والظاهر أن الشيخ قبل هذا الاقتراح أول الأمر واستغل في الوقت نفسه، مراسلة المفوضية الفرنسية بطنجة له، ليراسل السلطات الفرنسـية، واضعا عدة شروط لقبوله للأمان، منها عودته إلى بلده مغرار وبناء زاويته هناك (التي هدمتها القوات الفرنسية). لكن الفرنسيين لم يكونوا ليقبلوا بهذا الشرط الخطير.

وفي شهر ماي من سنة 1896 وردت الشيخ رسالة من السلطان المغربي مولاي عبـد العزيز،وهو مستقر بقصر الاعوج التحتاني على واد زوزفانة في اتجاه فكيك، يشير عليه فيها

18- عبد الحميد زوزو مرجع سابق ، ص19.

بإنشاء مركز في نخيلة عند مدخل العرق وفي الحقاق وعند مدخل العقلات[19]. وهذا يعني خضوعه للسلطان عبد العزيز، الذي أراده أن يكون ممثله هناك، ويبدو أن الشيخ قبل نظريا بهذا العرض، وراسل الحاكم العام الفرنسي في الجزائر يخبره أنه في طاعة السلطان عبد العزيز، ويطلب منه التدخل لدى مرؤوسيه لكف الأذى عنه وعن أصحابه[20].

أما الموقف الثاني: فهو موقف عدائي، وكانت من ورائه الضغوط الفرنسية، خاصة وأن الشيخ بوعمامة استمر في جهاده بعد عودته من دلدول واستقراره بفكيك حوالي سنة 1900، ضد القوات الفرنسية "التي ستجعل من نشاطه الجهادي وسيلة للتوسع ولتضييق الخناق على المخزن من أجل إخضاعه لمطالبها في وقت وظرف أخذت فيه المنافسات الأوربية تشتد وتتقوى بعدما تمكنت فرنسا من السيطرة كليا على الجزائر[21].

ففي سنة 1883 راسل السلطان مولاي الحسن سكان فكيك يطلب منهم عدم السماح لبوعمامة بالاستقرار ببلدهم، وتبعا لذلك غادر الشيخ بلدة فكيك في اتجاه الجنوب.

وفي منتصف الثمانينيات تلقى السلطان مولاي عبد العزيز رسالة من بوعمامة يطلب منه مدّه بالمال والسلاح للوقوف في وجه الزحف الاستعماري، فرد عليه بالرفض.

وعندما علم السلطان بعودة بوعمامة إلى فكيك ثانية في مطلع القرن العشرين راسل سكان البلدة يطلب منهم عدم التعاون معه وإبعاده عن بلدهم بالتضييق عليه وعلى رجاله، "وإذا ورد عليكم بوعمامة البوشيخي نأمركم ألا تقبلوا استقراره ولا نزوله ببلادكم، إذ لا خير له ولا لكم في بقائه بناحيتكم"[22].

كما تلقى الشيخ نفسه رسالة من محمد الجباص وزير الدفاع المغربي يطلب منه اختيار إحدى الجنسيتين الجزائرية أو المغربية والخروج من فكيك فورا[23].

1- المرجع نفسه: ص 23.
20- رسالة الشيخ المؤرخة في أول شعبان 1313هـ -جانفي 1896م.
21- زكي مبارك، مرجع سابق ص: 420.
22- عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص:83.
23- عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص 33.

وقد رد الشيخ على ذلك بمراسلة قاضي وجدة، يخبره فيها بسياسة الجبـــاص المعاديـــة للإسلام والمسلمين حيث يتعاون مع السلطات الفرنسية لإجباره على مغادرة المكان.

خاتمة:

هكذا تتضح المفارقة في الموقفين: موقف شعبي مساند لحركة الشيخ بوعمامة، باعتبارها حركة جهاد ضد الاستعمار الذي غزا بلاد المسلمين وهو يتحفز للانقضاض على غيرهـــا. وموقف رسمي يضع حسابات لمواقفه، فيمد يد العون مرة ويسحبها أخرى.

لقد كانت السلطة المغربية مقيدة باتفاقيات 1845 و1901 و1902، التي تؤمّن الحدود بين الدولتين، وكانت سلطة ضعيفة داخليا ليس لها السيطرة الفعلية على كل أجـــزاء البـــلاد، ولذلك كثر الثوار الرافضون لسياسة مهادنة الأجانب والتعاون معهم بالإضافـــة إلى فســـاد رجال الحكم أنفسهم.

يذكر أحد الكتاب الفرنسيين عن أهم فائدة جنتها فرنسا من الاتفاقية الأخـــيرة 1902 وهي إبعاد بوعمامة، فيقول: "إن نهاية بوعمامة ختمت العقد الجديد الفرنسي المغربي مثلمـــا ختمت اتفاقية 1845 نهاية عبد القادر المحاصر من قبل الفرق الموحدة للاموريسيار ومـــولاي عبد الرحمان "[24].

وهكذا غادر بوعمامة بلدة فكيك مرغما في اتجاه المنطقة الشمالية من المغرب، وبخاصة بعد تلقيه لرسالة الروقي، التي كانت له فرجا بعد ضيق، ووجد فيه الحليف الذي أنقذه مـــن بين فكي الرحى، ويتمثل ذلك في اتفاق السلطتين المغربية والفرنسية على مطاردته.

وقد بقي الشيخ معاديا للسلطتين المذكورتين إلى أن وافاه الأجل في شهر رمضان مـــن سنة 1326 هـــ الموافق لشهر أكتوبر 1908م بعيون سيدي ملوك.

وبالله التوفيق

24- أنظر: Revue de l'Islam : Janvier 1901; N°62 « soumission de Bouamama »